الدكتورة: نجاح سلطان

المحاضرة 09 المصادر المادية والأثرية(المشرقية والمغربية)

المصادر المادية ودورها في كتابة التاريخ

تعريفها: كل المخلفات المادية التي تركها الإنسان وكان يستعملها في حياته اليومية دون أن يقصد منها أو يريد منها كتابة التاريخ أو إن تتحول إلى مصدر من مصادره، إلا إن ولكون هذه المخلفات كانت مساهمة في الحياة الإنسانية وشاهد من شواهد تطوره أو بساطته، فهي بالنسبة إلى المؤرخ من الشواهد المادية المساعد على بناء الصورة التاريخية، وتدخل ضمتها العملات الحديثة التي تعد ضمن المداولات وكذا الأدوات الفنية والموسيقية وأدوات الكتابة والاتصال على بساطتها وفن العمران وأنماطه

نماذج عنها:

العمارة:

الجزائر في الفترة العثمانية: كان للعمارة العثمانية تأثير كبير على الثقافة الجزائرية خلال الحكم العثماني للجزائر الذي استمر من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر اشتهرت الدولة العثمانية بمساجدها الكبرى، وقصورها وغيرها من العجائب المعمارية .

أحد أبرز الأمثلة على العمارة العثمانية في الجزائر هو:

- القصبة التي تعتبر من أقدم الأبنية الحضارية والأثرية في العاصمة والتي تركت بصمتها في فن العمارة الهندسية الجزائرية عرفت المدينة في تلك الفترة ازدهاراً في ميادين العمران والتجارة والملاحة البحرية، لاسيما بعد تطوير الموضع الطبيعي للمرسى إلى ميناء يرتبط بالمدينة عبر رصيف. وكغيرها من المدن في تلك الحقبة، كانت مدينة الجزائر محاطة بسور طوله 3200 متر، تشكلت داخل السور منظومة حضرية متكاملة بمفهوم ذلك العصر.
- مسجد كتشاوة في الجزائر العاصمة، الذي تم بناؤه عام 1612 ويتميز المسجد بمزيج من العناصر المعمارية العثمانية والجزائرية، بما في ذلك قبة مركزية كبيرة، وقباب متعددة أصغر حجما، وأعمال جصية معقدة بالإضافة إلى الحمامات والقلاع العسكرية، لذا، كان تأثير العمارة العثمانية على الثقافة الجزائرية كبيرا، ويمكن رؤيته في الهندسة المعمارية والفن والمنسوجات في البلاد.

أما في الفترة المعاصرة والتي عرفت بدخول الاستعمار الفرنسي: بدا وجه المدينة يعرف تغيرات جذرية بعد الاحتلال الفرنسي عام 1830، حيث بدأت عمليات الهدم والتهيئة لكل من باب الواد وباب عزون وعلى أنقاض ما تهدم، تم بناء ساحة عمومية بالقصبة السفلى، أطلق عليها الساحة الملكية، وشقت الطرق الواسعة لتأمين حركة الآليات العسكرية، وبناء المساكن لإيواء الجنود وأسرهم خلال العقد الأول من احتلال المدينة، بدأت بواكير النموذج العمراني الاستعماري بالظهور وبصفة مغايرة تماماً لنموذج العمران والطابع الأصلي للمدينة. بدأت المدينة القديمة بالمقابل تفقد تدريجياً دورها الوظيفي، وأضحت مجرد حي "القصبة".

تونس:

- قصر باردو، وقد بني هذا القصر عهد الحسين بن علي باي يمثل هذا القصر الترف والرفاهة التي شهدتها العمارة التونسية في فترة البايات.
- قصر حمودة باشا: تم تشيده على يد حمودة باشا المرادي عندما كان أميرا، وذلك سنة 1630، يقع القصر في نهج سيدي بن عروس المرموق قرب مقر الحكومة بالقصبة.
- جامع يوسف داي: ويعتبر هذا الجامع أول جامع حنفي تم بناؤه في تونس بعد الفتح العثماني ويعرف أيضا باسم جامع سيدي يوسف فيما يسميه البعض جامع البشامقية، وقد تم بناؤه سنة 1612 في عهد يوسف داي الذي حكم تونس لحوالي 28 سنة، وهو أول مسجد يبنى على طريقة العمارة العثمانية.
- جامع حمودة باشا: يوجد هذا الجامع في تونس العاصمة، ويعتبر ثاني الجوامع المؤسسة خلال هذه الفترة فعمارته تشابه في أغلب النقاط الجامع الأول، ويوجد هذا الجامع وسط الأسواق المحيطة بالجامع الأعظم،، وقد بنى باي تونس في تلك الفترة حمودة باشا المرادي هذا الجامع سنة عام 1655 وتم ترتيبه كمعلم تاريخي في 1912.

أما في الفترة المعاصرة والتي دخلت فيه تونس تحت الحماية الفرنسية في 1881، عملت على بتغيير تسمية شارع البحرية الجديد سنة 1900 ليصبح شارع جول فيري lules Ferry ونصب تمثال له. وللتذكير فان جول فيري (1832-1893) كان المروج للسياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس. وهو في الواقع من أذن بالعمليات العسكرية في منطقة خمير في الشمال الغربي وغزو البلاد برا وبحرا، وفرض معاهدة باردة في 12 ماي 1881.

مصر:

- جامع سليمان باشا بالقلعة " سارية الجبل " 1528/935م: يقع هذا الجامع في الجهة الشرقية من القلعة وقد جدده سليمان باشا الخادم عام 935 1528م، ويعتبر أول مسجد عثماني في مصر، وقد تأثر في عمارته بالعمارة المملوكية في الكتابات والزخارف.
- جامع محمد بك أبو الذهب: 1188هـ/1774م: أمر بإنشاء هذا الجامع الأمير محمد بك أبو الذهب، وانشأ هذا الجامع ليكون مدرسة تعاون الأزهر في رسالته العلمية وقد اختار للتدريس فيه أجلة العلماء.
- المدرسة السليمانية 950هـ/1543م: أنشئت بأمر من سليمان باشا الخادم، وتقع جنوب باب زويلة بآخر شارع السروجية، وهي أول مدرسة شيدت في العصر العثماني، وكانت الدراسة بها باللغة العثمانية ثم تم تحويلها إلى تكية بعد فترة لإقامة الدراويش بها.
- مسجد سنان باشا 979هـ/1571م: يقع في شارع جامع السنانية ببولاق القاهرة، وقد أمر بإنشائه سنان باشا والي مصر في عهد السلطان سليم الثاني، وهو ثاني مسجد بني على الطراز العثماني في مصر.

لقد قام محمد علي باشا بدور كبير في نهضة مصر الحديثة، إلا النهضة العمرانية الحقيقية، بدأت بها بشكل جدي ومدروس ومخطط له، في عهد الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا أكبر أبناء محمد علي الذي تولى الحكم في مصر عام 1863م، فقد عمل على تطوير الملامح العمرانية والاقتصادية والإدارية في مصر. بشكل كبير، ويمكن أن نطلق علية لقب أبو العمارة الحديثة في مصر، فهو يستحق لقب

المؤسس الثاني لـ عمارة القرن العشرين في مصر المحروسة بعد إنجازات جده محمد علي باشا، ومن إنجازاته:

- قصر عابدين: عابدين بك هو أمير اللواء السلطاني في عهد محمد علي باشا، وبعد وفاته اشترى الخديوي إسماعيل قصره من أرملته وهدمه وأمر ببناء قصره الذي لا يزال قائماً حتى الآن، شاهداً على العديد من الأحداث، فأمامه كانت مظاهرة عرابي ضد الخديوي توفيق عام 1882م، وفيه تم حصار الملك فاروق بدبابات الإنجليز في 4 فبراير 1942م، قام بتصميم القصر وتنفيذه المعماري الفرنسي "دي كوريل روسو" وصممه على الطراز الكلاسيكي ليحاكي القصور الأوروبية آنذاك. وقد استعان الخديوي إسماعيل بمعماريين وفنانين فرنسيين وإيطاليين ومصريين وأتراك. للانتهاء من بناء.
- قصر رأس التين-الإسكندرية: يطل قصر رأس التين على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بمدينة الإسكندرية وبعد من أجمل المعالم التاريخية والأثرية، وقد بدأ محمد علي في بناءه عام 1834م علي الطراز الأوربي الذي كان شائعاً بمدينة آنذاك نظرا لكثرة الجاليات الأجنبية الموجودة في الإسكندرية في تلك الفترة، وتم افتتاح القصر رسمياً عام 1847م، وأعاد الملك فؤاد بنائه على طراز يتماشى مع روح العصر الحديث علي يد المهندس الإيطالي فيروتشي عام 1879م.
- قصر القبة: بناه الخديوي إسماعيل، على أطلال منزل قديم لوالده إبراهيم باشا واستمر بناء القصر لمدة 6 سنوات، وبدأ العمل في إنشائه عام 1867، وقد افتتح القصر رسميًا في يناير عام 1873 وكان قصر القبة مقر إقامة شاه إيران محمد رضا بهلوي بعد لجوئه السياسي إلى مصر عام 1979م.
- قصر الزعفران: يرجع تاريخ إنشائه إلى عام 1865م في عصر الخديوي إسماعيل، وصمم القصر على نفس طراز قصر فرساي في فرنسا.

سوريا:

- المدرسة الخسروية في حلب والتي تعد أول المدارس العثمانية التي شيدت في سوريا بشكل عام وأقدمها، وفي حلب بشكل خاص، فقد قام المعماري سنان ببناء المدرسة الخسروية عام 1536 بأمر من الوالي خسرو باشا من سنان في عهد السلطان سليمان الأول القانوني
- جامع العادلية في حلب التي انشأ في 1555 بمحلة السفاحية بأمر من محمد باشا بن احمد بن دوقة كين وفي عهد السلطان سليمان الأول القانوني.
- التكية السليمانية في دمشق عام 1557 على أنقاض القصر الأبلق المملوكي بأمر من السلطان سليمان القانوني والطلبة القادمين من خارج المدينة ولسكن المحتاجين والفقراء. الذي اهتم بالعمران والتكية في شكل من أشكال المدارس التي تضم مسجدا وقاعة للتدريس وغرفا لإقامة العلماء
- جامع الهرمية في حلب عام 1582 والمدرسة العثمانية في حلب عام 1730 في مدينة حلب، سميت بالعثمانية ولا قامتهم أيضا. نسبة لبانيا عثمان بن عبد الرحمن باشا، كانت مركزا مهما لتدريس الطلبة على أيدي العلماء ورجال الدين.
- المدرسة العثمانية في حلب: أنشئت هذه المدرسة عام 1730م في مدينة حلب، سميت بالعثمانية نسبة لبانيها عثمان بن عبد الرحمن باشا، كانت مركزا مهما لتدريس الطلبة على أيدي العلماء ورجال الدين ولإقامتهم أيضا.

جسر أما في فترة الانتداب الفرنسي: خلال مرحلة الانتداب الفرنسي شهدت معظم المدن السورية نهضة عمرانية كبير فبدأت التيارات المعمارية بإدخال أسلوب فرنسي في العمارة والزخرفة في المدينة وظهر اتجاهان: الأول يهدف إلى إحياء التقاليد الفنية القديمة وتطويرها، وتظهر آثاره في الاقتباس عن الفنون العربية والزخرفة لدى تزيين بعض المباني كالمجلس النيابي، ومبنى مؤسسة مياه عين الفيجة ووزارة التقانة والاتصالات، وبنك سورية ولبنان عند. فيكتوريا ومبنى البرلمان ومبنى وزارة الأشغال العامة والمواصلات في شارع البرلمان ومبنى ديوان المحاسبات في ساحة السبع بحرات ...الخ

وبين عامي 1936 و1948 أسس إيكوشار متحف دمشق، وكانت هذه المرة الأولى التي يولى فيها أي اهتمام جدي التاريخ المدينة الطويل، ولكن في المقابل تم وبشدة إهمال جوانب أخرى من التنمية كتدمير الحوض البيئي للغوطة.

المتاحف:

تعد المتاحف في عصرنا الحاضر من المراكز البحثية والمؤسسات الثقافية المهمة، فهي مرأة الأمم والمجتمعات. وقد تنبهت الدول المتقدمة في صناعاتها وتخطيط مدنها ومرافق الخدمات المتنوعة فيها إلى أهمية المتحف ورسالته التربوية، فأخذت تلك الدول تتسابق فيما بينها لإنشاء المتاحف المتخصصة في مختلف العلوم والفنون.

فمنها المتاحف المتخصصة في الآثار والفنون والصناعات القديمة ومتاحف للمسكوكات، فضلاً. عن المتاحف العربية، والمتاحف الزراعية ومتاحف العلوم والفلك، ومتاحف للتاريخ الطبيعي، ومتاحف للملابس والأثاث المنزلي. وتعددت أنواع المتاحف لتشمل الخصوصيات الجزئية وحياة الإنسان في الحاضر، وأصبح هناك متاحف ذات الصفة العالمية لاشتمالها على معلومات ومواد من مختلف بلاد العالم، ومتاحف محلية متخصصة. وأصبح علم المتاحف من العلوم المهمة التي تعني بها الجامعات والمؤسسات العلمية إذ عملت على دراسة علم المتاحف من النواحي المعمارية وطرائق وأساليب العرض المتحفي وخزائن العرض ومواصفاتها الدقيقة ومناسبتها لطبيعة المواد المعروضة ونوعية الإضاءة والنواحي الأمنية والمطبوعات التي يحتاجها زوار المتاحف والتي تناسب حاجتهم بمختلف مستوياتهم العمرية والثقافية. وأصبحت المتاحف ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع فضلاً عن ارتباطها بالمؤسسات العلمية والثقافية، كما أنها شكلت فيما بينها منظمات خاصة بها وتصدر مجلات ومطبوعات علمية متخصصة على درجة عالية من الدقة في المادة العلمية وأسلوب الطباعة والإخراج.

يذهب بعض الباحثين إلى تعريف المتحف بأنه مؤسسة دائمة لا تهدف إلى كسب مادي وإنما غايتها التعليم والترفيه.

أهمية المتاحف: أصبح يقاس تطور المجتمعات بعدد المتاحف التي تحويها بمختلف أنواعها وتخصصاتها، إذ تعد المتاحف مؤسسات ثقافية هامة من شأنها نشر وتعميق الثقافة المجتمعية لأي مجتمع حول تاريخه وهويته الحضارية وتراثه الفكري والمادي، فالمتاحف تعتبر مرآة الأمم ونافذة الحاضر للماضي، وقد أصبح الاهتمام بها من أساسيات أي مجتمع قائم لما تمثله من ثقافة ذلك المجتمع وتنمية الوعي الفني لديهم، فهي تصل الأجيال الحاضرة واللاحقة بالأجيال السابقة وهي تعد من أساسيات النهضة الحديثة لأي مجتمع ناهض والمتحف مكان يعكس ماضي وحاضر المجتمع الذي يخدمه ويبرز

الحضارة التي كان عليها هذا المجتمع. وللمتاحف أهمية عظيمة ومتنوعة، فهي معاهد ومراكز علمية وثقافية ومصدر معرفي، متنوع، كما أنها تساعد في نقل الحقائق إلى الزائرين سواء كانوا كباراً أم صغاراً في أقل وقت وبأسلوب بسيط ومؤثر، كما أنها توفر فرص مفيدة للتعاون الفعال في عملية الدراسة، وتعمل على تنمية إتجاهات خاصة في النشء مثل الملاحظة الدقيقة والتفكير المنطقي السليم، والمسؤولية الملزمة، وحب الجمال، ورفع مستوى التذوق العام، وتساعد في رفع قدرة الزائر على تفهم مركزه في بيئته المحلية. ومدى عظمة التطور الفني والتاريخي والحضاري لبلده بين العالم، كما وتعتبر المتاحف وسيلة فعاله لتوصيل الأفكار الخاصة بالإنجازات الثقافية للشعوب الأخرى، وللعلم الحديث

المتاحف في الجزائر:

- المتحف الوطني باردو: يقع في مدينة الجزائر بني في فترة الباشا مصطفى، حيث استقر الأمير الحاج بن عمر في الجزائر العاصمة بعد أن منحه باي الجزائر حق اللجوء السياسي على خلفية نزاع على الحكم في تونس، وشيد القصر تيمنا بالطراز الأندلسي الذي يحيل إلى كلمة الباردو الاسبانية التي تعني المكان المغطى بالورود، يوفر هذا المتحف للزائرين فرصة لرؤية قطع أثرية تعود إلى التاريخ القديم بالإضافة إلى معروضات تعرفهم بالتاريخ البحري والحربي للبلاد، علاوة عن معروضات أخرى تطلعهم على نواح من ثقافة المدينة مثل المشغولات اليدوية والألبسة التقليدية
- المتحف الوطني للمجاهد (الجزائر): أسس في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين وكان مقره بالأبيار تم في عهد الشاذلي دشن مقره مع مقام الشهيد في سنة 1982. يضم هذا المعلم التاريخي عدة أجنحة كبرى تحكي تاريخ الثورة التحريرية التي تعرض بالصور والنماذج تاريخ المقاومة الشعبية والنضال السياسي ثم اندلاع الثورة المسلحة مقسمة إلى ثلاثة أقسام هي: جناح المقاومة الشعبية 1830-1924 جناح الحركة الوطنية 1919-1954 وأخير اجناح الثورة 1962-1954 التحريرية.
- متحف الفن الحديث الجزائر العاصمة: المعروف باختصار (MAMA) تم افتتاحه في عام 2007، ويقع في قلب العاصمة الجزائر تتمثل مهمته في التعريف بالفن الجزائري المعاصر وتعزيزه والحفاظ عليه مع إظهار الفن المعاصر الدولي من خلال معارض دائمة وأخرى مؤقتة للأعمال الفنية.
- المتحف الوطني للفنون الشعبية والتقاليد: يقع المتحف الوطني للفنون الشعبية والتقاليد في القصبة السفلى بالجزائر العاصمة، يحتفظ المتحف بمجموعة من القطع الأثرية الهامة التي تعتبر حلقة وصل بين الصناعات التقليدية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، كما شهدت الأنشطة التي مارستها العائلات وورثتها جيل بعد جيل من الصناعة، إلى جانب ذلك فقد يحتوي المتحف على لوحات تحمل توقيعات أعظم الأساتذة في مجال الصناعات التقليدية التي ميزت الفن الشعبي الجزائري. كما أن هناك العديد من الحرفيين المشهورين في الفن الشعبي والصناعات التقليدية، والذين قدموا العديد من الأعمال المهمة، والتي لا يزال أغليها قائماً حتى يومنا هذا.

تونس: أهم المتاحف في تونس

- متحف البريد: انشأ في 1959، يقع المتحف في مبنى تابع ومحاذ لوزارة تكنولوجيا المعلومات والاتصال وهو يروي تاريخ البريد التونسي يحتوى المتحف على مجموعات كاملة من الطوابع البريدية التونسية، بدأ من أول طابع بريدي تونسي، وكذلك مجموعة من الوثائق الخطية القديمة المتعلقة بالبريد ومجموعة معدات بريدية كانت مستعملة في البريد في فترات مختلفة ومجموعة

أجهزة اتصالات تلغراف وهواتف وأخيرا مجموعة من الصور الفوتوغرافية لمحلات البريد التونسية.

- المتحف العسكري الوطني: المتحف العسكري الوطني يقع في جزء من قصر الوردة. هذا الأخير أنشأ سنة 1793 في عهد الباي الحسيني حمودة باشا، وكان في البداية مقر إقامته، قبل أن يصبح مقر إقامة كبار ضيوف البلاد، ثم منذ 1839 أصبح يستعمل كمقر عسكري لعدة جهات عسكرية تونسية أو أجنبية بعد الاستقلال، أعيد تأهيله واستعملته وزارة الدفاع التونسية، قبل أن يفتتح فيه المتحف العسكري في 1989 يحتوي المتحف على 23000 قطعة من مختلف عصور التاريخ العسكري التونسي، بينما توجد أيضا خارجه قطع عسكرية أخرى مثل مدفع مضاد للطائرات وطائرة حربي.
- المتحف الوطني للطب تونس: يتمركز المتحف في جزء من المبنى القديم لكلية الطب بتونس، ويعرض مجموعة من الأدوات والوثائق التي تهم الطب في البلاد، ومن بينها أدوات جراحة تعود إلى القرنين التاسع والعاشر ولوازم طبية وتجهيزات طبية تعود إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، وكذلك نسخ من مخطوطات قديمة وشهادات ووثائق حول تاريخ الطب بتونس، إضافة إلى مجموعة من الصور والطوابع البريدية والنباتات ذات الاستعمال الطبي.

في مصر:

متحف البريد في العتبة، افتتح عام 1934، بمناسبة استضافة مصر المؤتمر اتحاد البريد الدولي.